بيوت المتقين

السنة السابعة

نشـــرة شهريـــة تهتـم بنشـــر الثقافـــة الدينـــية للمؤمنيـــن

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية - العدد (٧٤) شهر رجب الأصب لسنة ١٤٤١هـ

- فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ١
- لا إكراه في الدين
- الاستبداد ح ٣

مسجد الحاج بُنّية
في بغداد

١٣ / رجب / سنة (٢٣) قبل الهجرة
ولادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وليد الكعبة

اقــرأ في هــذا العــــدد

❖ وقفة فقهية

أحكام الاختلاط بين الجنسين ص٦-٧

❖ مساجدنـــا

مسجد الحاج بنية في بغداد ص١٢-١٣

❖ الآداب الإسلامية

آداب المشاورة في الإسلام/ ح١..... ص١٤-١٥

❖ عقائدنـــا

أفضلية أئمّة أهـــل البيـــت عليهم السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام عدا جدّهم الخاتم صلى الله عليه وآله ص١٨-١٩

العتبة العلوية المقدسة | قسم الشؤون الدينية | شعبة التبليغ

رئيس التحرير
الشيـــخ حـــازم الـــترابي

مدير التحرير
الشيـــخ وصـــفي الحلفـــي

هيئة التحرير
الشيخ رعـد العبـادي
الشيخ حازم الـــترابي
الشيخ حسين الهاشمي
الشيخ وصفي الحلفي

التدقيق
شعبة التبليغ الديني

التصميم والإخراج الفني
حســن المـوســوي
ضـــياء نســيم

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

روى صاحب المناقب أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوما لأصحابه: «أَيُكُمُّ يصوم الدهر ويحيي الليل ويختم القرآن؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فغضب بعضهم فقال: إن سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش وهو يكذب في جميع ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا فلان، أنّى لك بمثل لقمان الحكيم، سله فإنه ينبئك، فقال: رأيتك في أكثر أيامك تأكل وأكثر لياليك نائما وأكثر أيامك صامتا، فقال: ليس حيث تذهب إني أصوم الثلاثة في الشهر وقال الله مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، وأوصل رجب وشعبان بشهر رمضان فذلك صوم الدهر، وسمعت رسول الله يقول: من بات على طهر فكأنما أحيا الليل،

وأنا أبيت على طهر، وسمعت رسول الله يقول لعلي: يا أبا الحسن مثلك في أمتي مثل قل هو الله أحد فمَن قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومَن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومَن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن كله، فمَن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومَن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومَن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والذي بعثني بالحق نبيا، يا علي لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذب أحد بالنار، وأنا أقرأ قل هو الله أحد كل يوم ثلاث مرات، فقام كأنه ألقم حجرا» (مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٣٣٤).

عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: (كنت حاجا إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا في الطواف إذ رأيت جاريتين واقفتين عند الركن اليماني، إحداهما تقول لأختها: لا وحق المنتجب بالوصية، والحاكم بالسوية، العادل في القضية، العالي البنية الصحيح النية، بعل فاطمة المرضية، ما كان كذا وكذا.

قال عبد الواحد: وكنت أسمع، فقلت: يا جارية من المنعوت بهذه الصفة؟

فقالت: ذاك والله عَلَمُ الأعلام: وباب الأحكام، وقسيم الجنة والنار، وقاتل الكفّار والفجّار، ورباني الأمة ورئيس الأئمّة، ذاك أمير المؤمنين وإمام المسلمين، الهزبر الغالب، أبو الحسن عليّ بن أبي طالب.

قلت: من أين تعرفين عليا؟

قالت: وكيف لا أعرف مَن قتل أبي بين يديه في يوم صفّين، ولقد دخل على أمي ذات يوم، فقال لها: كيف أصبحتِ يا أم الأيتام؟ فقالت له [أمي]: بخير يا أمير المؤمنين، ثمّ أخرجتني وأختي هذه إليه، وكان قد أصابني من الجدري ما ذهب [به] - والله - بصري، فلما نظر إليّ تأوّه، ثمّ طفق يقول:

ما إن تأوّهت من شيء رزيت به
كما تأوّهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم مَن كان يكفلهم
في النائبات وفي الأسفار والحضر

ثمّ أمرَّ بيده المباركة على وجهي، فانفتحت عيناي لوقتي وساعتي، فوالله يا بن أخي، إني لأنظر إلى الجمل الشارد في الليلة الظلماء، كل ذلك ببركة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم أعطانا شيئاً من بيت المال، وطيّب قلبنا، ورجع). (المصدر السابق: ج٣، ص٤).

أحكام الاختلاط بين الجنسين

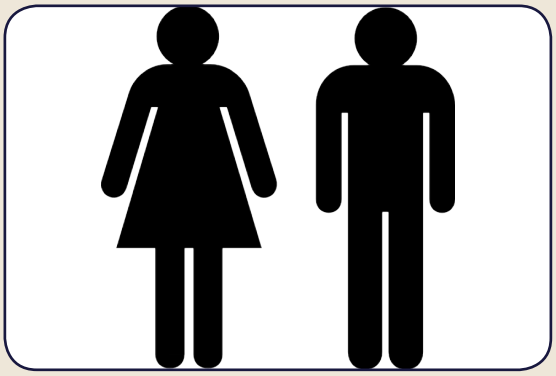

وفق فتاوى سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

السؤال: هل يجوز الاختلاط بين الجنسين؟

الجواب: لا يجوز إذا كان يؤدي إلى الإخلال بشيء مما هو وظيفة المرأة تجاه الرجل الأجنبي أو العكس، سواء من جهة رعاية التستر والعفاف وغير ذلك.

السؤال: نحن نعيش في منطقة منذ ثلاث سنوات وربطتنا مع جيراننا علاقة جوار طيبة، فهل يجوز عند زيارتهم أن نجلس معاً رجالاً ونساءً؟

الجواب: لا يجوز الاختلاط إذا احتمل ترتب المفسدة كما هو الحاصل، كما لا يجوز المضاحكة والممازحة مع الرجال الأجانب.

السؤال: هل يجوز للمرأة العمل أو الدراسة في مكان مختلط؟

الجواب: لا يجوز إذا كان يؤدي إلى الإخلال بشيء مما هو وظيفة المرأة تجاه الرجل الأجنبي من جهة رعاية التستر والعفاف وغيرهما.

السؤال: ما حكم سماحتكم في اختلاط الرجال والنساء في مجال العمل؟

الجواب: لا يجوز إذا كان يؤدي إلى الإخلال بشيء مما هو وظيفة المرأة تجاه الرجل الأجنبي أو العكس سواء من جهة رعاية الستر والعفاف وغير ذلك.

السؤال: إذا كان عمل المرأة مباحاً فهل يعد عملها في الميادين العامة التي يكون فيها الاختلاط مقبولاً؟

الجواب: يكره لها الاختلاط بالرجال الأجانب وان خلا عن كل محرّم، وإذا لم تأمن الوقوع في الحرام لزمها التجنّب عنه.

السؤال: تركب بعض النساء سيارات الأجرة، وتكون هي والسائق لا ثالث لهما؟

الجواب: ما دامت تأمن على نفسها من الوقوع في الحرام إذا ركبت معه وحدها فهو جائز.

السؤال: هل يجوز اختلاط الجنسين في المدارس المتوسطة والثانوية إذا علم الإنسان أنَّ ذلك الاختلاط سيؤدي حتماً في يوم ما إلى وقوع محرم لطالب أو طالبة، ولو كان بالنظر المحرّم؟

الجواب: لا يجوز في الصورة المذكورة.

السؤال: هل يجوز الذهاب إلى نادٍ رياضي مختلط؟

الجواب: لا يجوز الذهاب إلى الأماكن الخلاعية إذا استتبع حراماً، بل الأحوط وجوباً تركه حتى لو لم يستتبع حراماً.

السؤال: هل يجوز للمرأة المسلمة الالتحاق بالكليات المختلطة، رغم وجود تحلل في سلوك بعض الطلاب والطالبات هناك؟

الجواب: إذا كانت تثق مع ذلك بتمكنها من الحفاظ على سلامة دينها والقيام بالتزاماتها الشرعية ومنها الحجاب، والتجنب عن النظر واللمس المحرمين، وعدم التأثر بما يحيط بها من أجواء التحلل والانحراف، فلا بأس به، وإلاّ لم يجز.

السؤال: هل يجوز للرجل المسلم الذهاب إلى المسابح المختلطة؟

الجواب: لا يجوز للرجل المسلم الذهاب إلى المسابح المختلطة، وبقية الأماكن الخلاعية الأخرى إذا استتبع حراماً، بل الأحوط وجوباً تركه حتى لو لم يستتبع حراماً.

السؤال: هل يجوز للساكنين في الغرب إرسال بناتهم المحجبات الى مدارس مختلطة للتعلّم في ظل إلزامية التعليم أو عدمها مع وجود مدارس غير مختلطة ولكنها غالية أو بعيدة أو ضعيفة المستوى؟

الجواب: لا يجوز إذا كانت تفسد أخلاقهن، فضلاً عما إذا كانت تضر بعقائدهن والتزامهن الديني كما هو كذلك عادة.

السؤال: هل يجوز اصطحاب الفتيات اللواتي يدرسن مع الشاب المسلم في الجامعات الأجنبية لغرض التنزه في السفرات السياحية وغيرها؟

الجواب: لا يجوز، إلاّ مع الأمن من الوقوع في الحرام.

السؤال: هل يجوز إقامة عقد قران مختلط بوجود رجال ونساء مسلمين وغير مسلمين في مكان واحد مع مراعاة الحجاب؟

الجواب: لا يجوز الاختلاط المثير، والإثارة أمر طبيعي في مجالس العرس، فلا بدّ من التفريق بين الرجال والنساء.

السؤال: هل يجوز استماع صوت النساء بواسطة مكبر الصوت حين خطاباتهن في الاحتفالات الدينية أو غير ذلك؟

الجواب: لا مانع منه، مع مراعاة أن لا يكون صوتهن مهيجاً للرجال، وعدم تضمّن خطاباتهنَّ لمضامين غير مناسبة مع حضور الرجال، وأيضاً لابدّ من مراعاة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء على الوجه غير المسوّغ شرعاً.

السؤال: هل يجوز الاختلاط والكلام مع الحمة (أخ الزوج)، وكذلك زوج الأخت وأحياناً يحدث المزاح، وهل يجوز الجلوس على مائدة للطعام واحدة والأكل معاً بحضور العائلة كلّها؟

الجواب: أخ الزوج، وزوج الأخت هما والأجنبي سواء، وعليه يحرم المزاح والمفاكهة معهما، إلى غير ذلك من الأمور اللازم اجتنابها مع الأجنبي.

السؤال: ما تقولون في بكاء النساء بصوت عالٍ في مجالس العزاء، في حين يكون المجلس مشترك من الرجال والنساء، وطبعاً تُسمع أصوات النساء مما يلفت نظر الرجال وقد يميّز بعض الرجال صوت مَن تبكي بحيث يعرف به مَن هي الباكية؟

الجواب: إسماع المرأة صوت بكائها للرجل الأجنبي ليس محرماً في حدّ ذاته.

السؤال: مسافر مسلم يعانق زوجته ويقبّلها أمام الناس أثناء التوديع فهل يجوز له ذلك؟

الجواب: لا يحرم ذلك مع رعاية الستر والحجاب إذا لم يكن مثيراً، والأولى تجنّب مثل هذه الأمور.

السؤال: إحدى طالبات الجامعة هل يجوز لها التقاط صورة التخرج التذكارية المتعارفة مع طلبة المرحلة والأساتذة؟

الجواب: لا مانع منه بشرط الحفاظ على الستر الواجب والحشمة بما يليق بالمرأة المؤمنة.

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة البقرة: آية٢٥٦)

سبب النزول:

ذكر الطبرسي في مجمع البيان في سبب نزول هذه الآية: أنه كان لرجل من المدينة اسمه (أبو الحصين) ولدان دعاهما إلى اعتناق المسيحية بعض التجار الذين كانوا يفدون على المدينة، فتأثر الولدان بما سمعا واعتنقا المسيحية، ورحلا مع أولئك التجار إلى الشام عند عودتهم. فأزعج ذلك أبو الحصين، وأقبل يُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما حدث، وطلب منه أن يعمل على إعادة ولديه إلى الإسلام، وسأله إن كان يجوز إجبارهما على الرجوع إلى الإسلام، فنزلت الآية المذكورة وبيّنت أنّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وجاء في تفسير المنار أنّ أبا الحصين كان يريد إكراه ولديه على الرجوع إلى أحضان الإسلام، فجاءا مع أبيهما لعرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو الحصين: كيف أجيز لنفسي أن أنظر إلى ولدي يدخلان النار دون أن أفعل شيئا؟ فنزلت الآية.

الدين ليس إجباريا:

إنّ الآية التي سبقت هذه الآية هي آية الكرسي والتي تشتمل على ذكر توحيد الله تعالى ومجموعة من صفاته الجمالية والجلالية التي تشكّل أساس الدين، وبما أنّها قابلة للاستدلال العقلي في جميع المراحل وليست هناك حاجة للإجبار والإكراه تقول هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

(الرُّشْدُ) لغوياً: تعني الهداية للوصول إلى الحقيقة، بعكس (الْغَيِّ) التي تعني الانحراف عن الحقيقة والابتعاد عن الواقع.

ولما كان الدين يهتم بروح الإنسان وفكره ومبني على أساس من الإيمان واليقين، فليس له إلّا طريق المنطق والاستدلال وجملة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، هي إشارة إلى هذا المعنى، فهذه الآية ردّ حاسم على الذين يتهمون الإسلام بأنّه استخدم القوة وحدّ السيف في تقدّمه وانتشاره، وعندما نرى أنّ الإسلام لم يسوغ التوسل بالقوة والإكراه في حمل الوالد لولده على تغيير عقيدته الدينية، فإنّ واجب الآخرين بهذا الشأن يكون واضحاً، إذ لو كان حمل الناس على تغيير أديانهم بالقوة والإكراه جائزاً في الإسلام، لكان الأولى أن يجيز للأب ذلك لحمل ابنه على تغيير دينه، في حين أنّه لم يعطه مثل هذا الحق.

ثمّ إنّ الآية الشريفة تقول كنتيجة لما تقدّم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

(الطَّاغُوتِ) صيغة مبالغة من طغيان، بمعنى الاعتداء وتجاوز الحدود، ويطلق على كل ما يتجاوز

الحد؛ لذلك فالطاغوت هو الشيطان والصنم والمعتدي والحاكم الجبار والمتكبر، وكل معبود غير الله، وكل طريق لا ينتهي إلى الله. وهذه الكلمة تعني المفرد وتعني الجمع.

الإشارة في نهاية الآية إلى الحقيقة القائلة: إنّ الكفر والإيمان ليسا من الأمور الظاهرية؛ لأنّ الله عالم بما يقوله الناس علانية - وفي الخفاء - وكذلك هو عالم بما يُكنّه الناس في ضمائرهم وقلوبهم.

وفي هذه الجملة ترغيب للمؤمنين الصادقين، وترهيب للمنافقين.

الدين لا يفرض:

لا يمكن للإسلام ولا للأديان الحقّة الأخرى أن تفرض فرضاً على الناس لسببين:

١ - بعد كل تلك الأدلة والبراهين الواضحة والاستدلالات المنطقية والمعجزات الجلية لم تكن ثمّة حاجة لذلك، وإنما يستخدم القوة مَن أعوزه المنطق والحجة، والدين الإلهي ذو منطق متين وحجة قوية.

٢ - إنّ الدين القائم على أساس مجموعة من العقائد القلبية لا يمكن أن يُفرض بالإكراه، فإنّ عوامل القوة والسيف والقدرة العسكرية يمكنها أن تؤثّر في الأجسام لا في الأفكار والمعتقدات.

يتضح مما تقدّم أنّ الحروب التي خاضها الإسلام كانت إمّا دفاعية، وإمّا تحريرية، ولم يكن هدف هذه الحروب السيطرة والتوسع، بل الدفاع عن النفس، أو إنقاذ الفئة المستضعفة الرازحة تحت سيطرة طواغيت الأرض، وتحريرها من ربقة العبودية لتستنشق عبير الحرية وتختار بنفسها الطريق الذي ترتئيه.

وجميع الذين يطالعون التاريخ الإسلامي يعرفون هذه الحقيقة، بل إن المسيحيين الذين كتبوا في الإسلام يعترفون بهذا أيضا، يقول مؤلف: (حضارة الإسلام أو العرب): (كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إنّ رؤساء تلك الجماعات كان مسموحا لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة).

وقد جاء في بعض كتب التاريخ أنّ جمعاً من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول الله صلى الله عليه وآله للتحقيق والاستفسار أقاموا قدّاسا في مسجد النبي في المدينة بكل حرية.

إنّ الإسلام - من حيث المبدأ - توسل بالقوة العسكرية لثلاثة أمور:

١ - لمحو آثار الشرك وعبادة الأصنام؛ لأنّ الإسلام لا يعتبر عبادة الأصنام ديناً من الأديان، بل يراها انحرافاً ومرضاً وخرافة، ويعتقد أنّه لا يجوز مطلقاً أن يسمح لجمع من الناس أن يسيروا في طريق الضلال والخرافة، بل يجب إيقافهم عند حدّهم، لذلك دعا الإسلام عبدةَ الأصنام إلى التوحيد، وإذا قاوموه توسل بالقوة وحطّم الأصنام وهدم معابدها، وحال دون بروز أيّ مظهر من مظاهر عبادة الأصنام، لكي يقضي تماماً على منشأ هذا المرض الروحي والفكري.

وهذا يتبيّن من آيات القتال مع المشركين، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (سورة البقرة: آية١٩٣). وليس هناك أيّ تعارض بين الآية التي نحن بصددها وهذه الآية.

٢ - لمقابلة المتآمرين للقضاء على الإسلام، عندئذٍ كانت الأوامر تصدر بالجهاد الدفاعي وبالتوسل بالقوة العسكرية، فإنّ معظم الحروب الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت من هذا القبيل.

٣ - للحصول على حرية الدعوة والتبليغ، حيث إنّ لكل دين الحق في أن يكون حرّاً في الإعلان عن نفسه بصورة منطقية، فإذا منعه أحد من ذلك فله أن ينتزع حقّه هذا بقوة السلاح .(تفسير الأمثل: ج١، ص٢٥٨ بتصرف).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:
(إنَّ لِلذِّكرِ أَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيا بَدَلاً فَلَمْ يَشْغَلْهُمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيّامَ الْحَياةِ وَيَهْتِفُونَ بِهِ في آذانِ الْغافِلِينَ).

علم الأئمة عليهم السلام بآجالهم

من أصول الكافي الشريف

١- عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «أَيُّ إِمَامٍ لَا يَعْلَمُ مَا يُصِيبُهُ وإِلَى مَا يَصِيرُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لله عَلَى خَلْقِهِ».

٢- عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ مُسَافِرٍ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ لَهُ: «يَا مُسَافِرُ هَذَا الْقَنَاةُ فِيهَا حِيتَانٌ قَالَ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله الْبَارِحَةَ وهُوَ يَقُولُ يَا عَلِيُّ مَا عِنْدَنَا خَيْرٌ لَكَ».

٣- عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَأَوْصَانِي بِأَشْيَاءَ فِي غُسْلِهِ وفِي كَفْنِهِ وفِي دُخُولِهِ قَبْرَهُ فَقُلْتُ يَا أَبَاهُ واللهِ مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ اشْتَكَيْتَ أَحْسَنَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا رَأَيْتُ عَلَيْكَ أَثَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَمَا سَمِعْتَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُنَادِي مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ يَا مُحَمَّدُ تَعَالَ عَجِّلْ».

٤- عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْحُسَيْنِ ع حَتَّى كَانَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ثُمَّ خُيِّرَ النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللهِ تَعَالَى».

٥- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَدْ عَرَفَ قَاتِلَهُ واللَّيْلَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا والْمَوْضِعَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ وقَوْلُهُ لَمَّا سَمِعَ صِيَاحَ الإِوَزِّ فِي الدَّارِ صَوَائِحُ تَتْبَعُهَا نَوَائِحُ وقَوْلُ أُمِّ كُلْثُومٍ - لَوْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ دَاخِلَ الدَّارِ وأَمَرْتَ غَيْرَكَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ

فَأَبَى عَلَيْهَا وكَثُرَ دُخُولُه وخُرُوجُه تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِلَا سِلَاحٍ وقَدْ عَرَفَ عليه السلام أَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ لَعَنَه الله قَاتِلُه بِالسَّيْفِ كَانَ هَذَا مِمَّا لَمْ يَجُزْ تَعَرُّضُه فَقَالَ: «ذَلِكَ كَانَ ولَكِنَّه خُيِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لِتَمْضِيَ مَقَادِيرُ الله عَزَّ وجَلَّ».

الشرح:

قال الحسن بن الجهم (الإِوَزِّ)، والإوز والإوزة بكسر الهمزة وفتح الواو والزاء وشدّها: البط .

ثمّ ينقل لنا الراوي قول أم كلثوم: (لَوْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ)، لو للتمنّي أو للشرط والجزاء محذوف .

وقوله: (وقَدْ عَرَفَ عليه السلام أَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ لَعَنَه الله قَاتِلُه بِالسَّيْفِ)، قال الآبي في كتاب إكمال الإكمال: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا استأصل الخوارج بالنهروان وفلت منهم اليسير وكان من جملتهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي، من قبيلة بني حمير من حلفاء المراد، والبكر الصيرفي وبكر ابن عمر التميمي فاجتمع الثلاثة بمكة فتذاكروا أمر الناس وعابوا أعمالهم، وتراحموا على مَن قُتل من قبل مُن أصحابهم بالنهروان، قالوا: ما نصنع بالبقاء بعد إخواننا فلو قتلنا أئمّة الضلالة.

فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليّاً، وقال البكر: أنا أكفيكم معاوية، وقال بكر بن عمر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وما أفسد أمر الأُمّة غيره، فتعاهدوا على ذلك عند البيت وتوثقوا على أن لا يرجع أحد من صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه وتواعدوا أن يفعلوا ذلك...)

وأجابه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «ذَلِكَ كَانَ ولَكِنَّه خُيِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»، أي إن الإمام عليه السلام قد خيّر فيها بين البقاء واللقاء فاختار اللقاء ليمضي تقدير الله تعالى، والوقوع في الهلكة غير جائز إذا لم يكن بأمر الله تعالى ورضائه وإلاّ فهو جائز، بل واجب مثل هذا، وفعل الحسين عليه السلام، وفعلنا في الجهاد مع الاثنين.

مسجد الحاج بُنّية
في بغداد

مسجد الحاج بُنّية وهو أحد المساجد العراقية التي تقع في جانب الكرخ من مدينة بغداد وفي منطقة العلاوي.

ويتميّز ببُنيانه وطرازه الإسلامي الفريد، ويحوي لوحات بالخط العربي لآيات من القرآن على جدرانه من عمل الخطاط هاشم محمد البغدادي، ويُعدّ أحد معالم بغداد العمرانية المهمة.

بناء المسجد

لقد بناه الحاج محمود جاسم بُنّية عام (١٩٧١م)، وتم تكليف المهندس قحطان المدفعي لبناء الجامع، ثمّ توفي الحاج محمود في شهر كانون الأول(١٩٧١م)، ودفن في غرفة خارج المصلّى، وأكمل أولاده البناء في عام (١٩٧٣م)، وأفتتح يوم الجمعة ٣١ أيار(١٩٧٤م)، والحاج بُنّية يرجع نسبهُ إلى العوائل البغدادية الغنية المشهورة في بغداد باسم (عائلة بيت بُنّية).

مساحة المسجد

تبلغ مساحة الجامع الكلية (٥٠٠٠) متر مربع، ويحتوي الجامع على مكتبة عامرة بالكتب الإسلامية والتاريخية، وأول مَن اعتلى منبر الجامع الخطيب والداعية المصري محمود محمد غريب، والذي قام بنشاط إسلامي وحركة إسلامية في بغداد، ممّا جعل السلطات في وقتها تقوم باعتقال الشيخ محمود غريب، ثمّ تسفيره إلى خارج العراق.

ويحتوي الجامع على مصلّى واسع يتسع لأكثر من (١٠٠٠) مصلٍّ، ويضم حرم الجامع محراباً كبيراً في غاية الفخامة والجمال، وتعلو الحرم قبة بيضوية بارتفاع (٣٦م)، وبقطر (٢٥م)، ومزخرفة بنقوش جميلة، كما أنّ للجامع منارة مِئذنة عالية بارتفاع (٥٥م)، وهي مثمنة الشكل بقطر (٣م)، ومغطاة بالكاشي الكربلائي الأزرق.

وللجامع دار سكن للإمام وقاعة كبيرة لإقامة المناسبات الدينية ومجالس العزاء، كما يحوي على مصلّى واسع للنساء، وغرفة للإدارة والخدم، ومن حول الحرم حديقة وساحة.

فائدة عامة

استحباب صلاة تحية المسجد وهي ركعتان.

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته، فقال لي: يا أبا ذر للمسجد تحية، قلت: وما تحيته، قال: ركعتان تركعهما، فقلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمَن شاء أقل، ومن شاء أكثر). جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي :ج٤، ص٥٠٣.

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه كان إذا دخل المسجد قال: «بسم الله وبالله، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». بحار الأنوار، المجلسي:ج٨١،ص٢٣.

وعنه عليه السلام قال: «من حق المسجد إذا دخلته أن تصلّي فيه ركعتين، ومن حق الركعتين أن تقرأ فيهما بأم القرآن (سورة الحمد)، ومن حق القرآن أن تعمل بما فيه». بحار الأنوار، المجلسي:ج٨١،ص٢٣.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ مَنْ أَعْطى مَنْ حَرَمَهُ وَوَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ وَعَفا عَمَّنْ ظَلَمَهُ كانَ لَهُ مِنَ اللهِ الظَّهيرُ وَالنَّصيرُ).

آداب المشاورة في الإسلام | الحلقة الأولى

المشورة هي وسيلة من وسائل انتظام الحياة الشخصية والاجتماعية، وهي من أهم الوسائل لتجنُّب ما أمكن من الأخطاء التي قد يكون الوقوع فيها موجباً لضياع الكثير الكثير مما يمكن أن توفِّره على نفسك، فمستقبل الكثير من الناس قد ضاع نتيجةَ رأيٍّ قد اتخذه شخص بمفرده، فلأنّه لم يستشر العقلاء، وذوي التجربة، وذوي الخبرة، وأهل التخصص؛ لذلك وقع في خطأ كان ثمنه أن يضيع كلُّ مستقبله.. وهكذا الشأن فيما يرتبط بالأمور العامة بلا فرق، بل هو أكثر أهمية.

والمشورة لا يكون حسنها متمحضاً في ذوي الجهل من الناس، أو في الصغار، أو في مَن لا خبرة عنده ولا تجربة، فكل هؤلاء يحسُن منهم، بل ينبغي منهم أن يستشيروا في شؤونهم، ولكن الأمر لا يختص بهؤلاء، بل كل المجتمع على اختلاف مراتبه، وشرائحه، ومستوياته، يحسُن منه أن يمتهن سجيَّة التشاور، ويستفاد من الآية المباركة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران: آية١٥٩)، كان موجهاً للرسول الكريم صلى الله عليه وآله، الذي كان مُسدَّداً بوحي الله، وبعصمته، ورغم ذلك يأمره الله (عزَّ وجل) بمشاورة أصحابه! وذلك ليُعبِّر عن هذا الأمر: وهو أنّه لا أحد فوق المشورة، ولا أحد مستغن عن المشورة؛ فالنبي الكريم صلى الله عليه وآله رغم أنّه مستغن بالوحي، ولكن حينما يزاول عملية التشاور بين الناس، وبين أصحابه، فإن ذلك يؤدي إلى أنّه لو كان ثمَّة مستنكف عن المشورة فإنّه سيستحي من نفسه، إذ كان الرسول -وهو المؤيَّد بالوحي-

يستشير، فأنا أولى بأن أستشير.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار» (كنز العمال: ج٧، ص٨١٣).

ومن الجوانب الإيجابية في عملية الشورى أن الإنسان يأخذ آراء الآخرين وتجاربهم وخبراتهم في موضوع ما، فيضيف إلى تفكيره تفكير الآخرين، ورحم الله امرأً جمع عقول الناس إلى عقله، وبالتالي فإنّ فرصة الوقوع في الخطأ في اتخاذ القرار تقل عندما يستشير الإنسان الآخرين.

روايات حول المشاورة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت أمراً فلا تشاور فيه أحداً حتى تشاور ربك، قال: قلت له: وكيف أشاور ربي؟ قال تقول: (أستخير الله) مائة مرة، ثمّ تشاور الناس فإنّ الله يجري لك الخيرة على لسان مَن أحبّ» (مكارم الأخلاق: ص٣١٨).

من كتاب المحاسن: عن الحلبي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ المشورة لا تكون إلا بحدودها الأربعة فمَن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها، فأولها: أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثاني: أن يكون حراً متديناً، والثالث: أن يكون صديقاً مواخياً، والرابع: أن تطلعه على سّرك فيكون علمه به كعلمك، ثمّ يسر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرّك إذا أطلعته عليه، فإذا أطلعته على سرّك فكان علمه كعلمك، تمت المشورة وكملت النصيحة» (مكارم الأخلاق: ص٣١٨).

وعنه عليه السلام قال: «استشيروا العاقل من الرجال الورع، فإنّه لا يأمر إلّا بخير، وإياك والخلاف، فإن خلاف الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا» (مكارم الأخلاق: ص٣١٩).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مشاورة العاقل الناصح يمن ورشد وتوفيق من الله (عزّوجلّ)، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب» (مكارم الأخلاق: ص٣١٩).

عن الحسن بن الجهم قال: كنا عند الإمام الرضا عليه السلام فذكرنا أباه، فقال: «كان عقله لا يوازى به العقول. وربما شاور الأسود من سودانه فقيل له تشاور مثل هذا؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه، قال: فكانوا ربما أشاروا عليه بالشيء فيعمل به في الضيعة والبستان» (مكارم الأخلاق: ص٣١٩).

عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما الحزم؟ قال: «مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم» (مكارم الأخلاق: ص٣١٩).

عنه عليه السلام: ومما أوصى صلى الله عليه وآله به علياً عليه السلام قال: «لا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، وقال: إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له» (مكارم الأخلاق: ص٣١٩).

«اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ»

نهج البلاغة: ج١، ص٣٣٨

الدعوة من أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أمر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في أغلب المجتمعات ـ شريحة الفقراء والمعوزين ـ وطبيعي أن تستفيد هذه الشرائح من هذا الأمر، وهو الصدقة. والصَدَقة: عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة. المنجد ص٤٢٠. مادة صدق.

وبتعبير آخر: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة. (المفردات في غريب القرآن ص٢٧٨).

فإذا عرفنا أنّ الصدقة تُعطى طلباً للأجر والثواب وتقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين:

الأول: أنْ لا يصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له؛ لأن الدافع حينما دفع كان لأجل فائدة ينتظرها الإنسان وهي توسعة الرزق وما شابه ذلك، وحالة الاستعلاء تنافي ذلك ـ تماماً ـ بل يلزم التواضع وعدم إشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره، فتُحدث له عقدة نفسية يسعى للتخلّص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص من هذه العقدة التي حصلت له، فقد يستولي على أموال غيره بدون وجه صحيح كالسرقة، والاحتيال، والقتل، والغش، وغيرها من الطرق غير المشروعة في كسب المال، فنخسر بذلك عنصراً صالحاً ـ بحسب طبيعته ـ ضاع منّا بسبب حب الـ(أنا) والتسلّط الذي يجر الإنسان إلى مواقف غير محمودة.

الثاني: انّ الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ، وإنّما كان الدفع توقعاً لزيادة الرزق، فإذا عرفنا أنّنا الرابحون قبل الآخذ فسيزداد العطاء ونسيطر ـ نسبياً ـ على حاجة الفقراء، وهذا أمر يحرص عليه أمير المؤمنين عليه السلام، بل يحرص عليه كل المصلحين بمختلف مراتبهم؛ لأنّه يسدّ ثغرة كبيرة من الصعب السيطرة عليها لولا وجود الصدقة، وفي المقابل يضمن الإمام عليه السلام، للدافع المتصدّق زيادة الرزق وسعته، وهذا ما يسعى إليه الجميع؛ لأنَّ النّاس شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح؛ فقد دلّ أمير المؤمنين عليه السلام النّاس على الطريق إلى ذلك وببدلٍ يسير؛ حيث أن الدافع ـ المتصدق ـ إنّما يدفع القليل ـ مهما كثر ـ إزاء

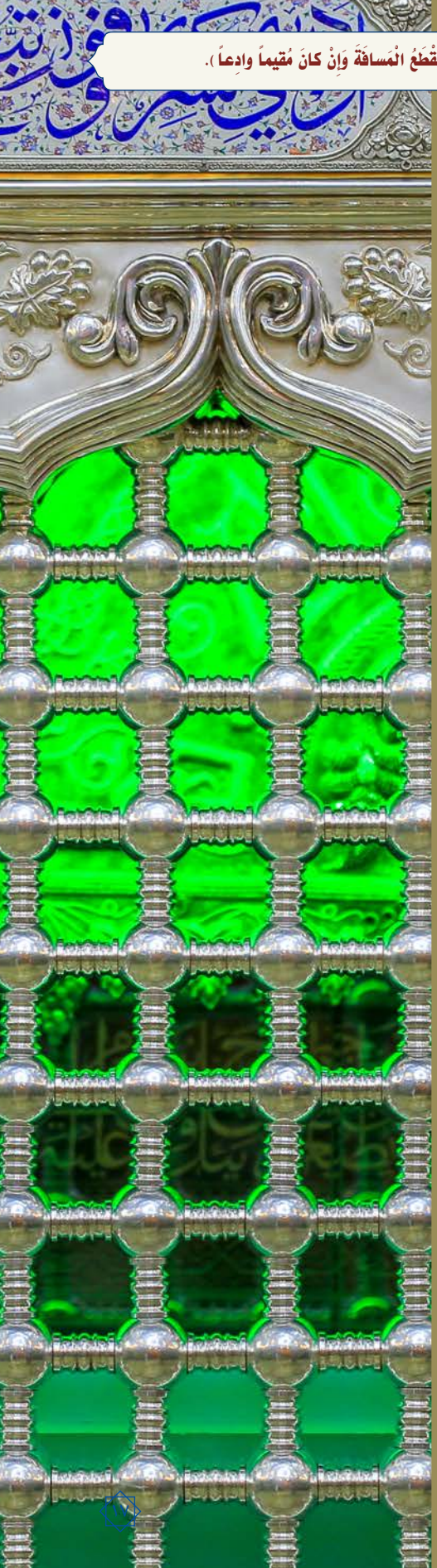

عطاء الله تعالى، إذاً فالرابح هو المتصدّق أكثر من الآخذ الفقير.

فإذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن أن تسخو نفوسنا بالدفع لننتشل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنساعدهم على تكوين وضع مناسب فيتساوى الجميع في العمل وإن لم يتساووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئذ نضمن عدم الفتنة بكل أشكالها: السرقة، القتل، الاحتيال والتزوير، أكل أموال غيرهم بلا وجه شرعي، فإنّ كل واحدة من هذه ونحوها كفيل بإسقاط الإنسان في الهاوية وتعريضه للمساءلة الإلهية وهذا ما نتعوذ منه. (ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: السيد صادق الخرسان، ج١، ص٧٨ـ٧٩).

إن الصدقة باب للرزق فلا تغلقوه، وطريق للخير فلا تنكبوه. اطلبوا الرزق الواسع بالصدقة، فبها يبارك الله لكم في رزقكم القليل، ولا يفتح عليكم أبواباً تضطرون فيها إلى الدين والسؤال بسبب مرض، أو مصيبة أو غيرها، فالصدقة هي علاج لكثير من الآفات وليس لاستنزال الرزق فقط كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في قولٍ آخر «الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ». (شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٨، ص١٠١).

فمَن أراد أن يُرزق فعليه بالصدقة، وعليه بالبذل والعطاء، من غير مَنٍّ أو رياء حتى يحصل على الغاية المرجوّة من الله سبحانه وتعالى.

أفضلية أئمة أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام عدا جدهم الخاتم صلى الله عليه وآله

قد وقع الخلاف بين أصحابنا في أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام ما عدا جدهم فذهب جماعة إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء عليهم السلام ما خلا أولي العزم، وبعضهم إلى مساواتهم، وذهب أكثر المتأخرين على أفضليه الأئمة عليهم السلام حتى على أولي العزم.

نعتقد أنّ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين عدا النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، والدليل على ذلك:

أما أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام خاصة؛ فيمكن استفادتها من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: الآية ٦١.

وتقريب ذلك قد أجمع المفسرون على أنّ المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ هو نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونفس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد عدّهما القرآن الكريم نفساً واحدةً فتثبت تبعاً لذلك المساواة ما بين النفسين في الكمال والصفاء وكل شأن رفيع باستثناء النبوّة، والثابت القطعي أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام أفضل أيضاً؛ لأنّ المساوي للأفضل أفضل. هذا دليل واحد وبنحو الاختصار على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام، وأمّا الأدلة على أفضلية الأئمة عليهم السلام:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ

وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: آية ١٢٤.

فان إبراهيم عليه السلام بلغ رتبة الإمامة بعد أن كان نبياً ورسولاً وخليلاً، فقد ابتلاه الله بابتلاءات عظيمة من اختباره بذبح ابنه وغيرها وبعد أن اجتازها أعطي مرتبة الإمامة، فهذا يدل على أنّ مرتبة الإمامة أعلى من مرتبة النبوة.

الثاني: ما رواه المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرافها أرواح محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسموات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منهم ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري..... قال: فلما أسكن آدم وحواء الجنة نظرا الى منزلة النبي والأئمة عليهم السلام فوجداها أشرف منازل أهل الجنة، فقال لهما سبحانه: لولاهم ما خلقتكما ...» معاني الأخبار ج ١، ص١٠٨.

فهذه الرواية تبيّن وبوضوح أفضلية النبي والأئمة عليهم السلام على سائر البشر الذي منهم الأنبياء عليهم السلام.

الثالث: ما استفاض في الأخبار من أنّ علم الأئمة عليهم السلام، أكمل من علوم كل الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك إنّ من جملته العلم الاسم الأعظم وهو ثلاثة وسبعون حرفاً، حرف منها استأثر به الله تعالى لنفسه، واثنان وسبعون علّمها لرسوله صلى الله عليه وآله وأمره أنّ يعلّمها لأهل بيته عليهم السلام وأمّا باقي الأنبياء عليهم السلام، فلم يصلوا إلى العدد الذي علم به أهل البيت عليهم السلام؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن عيسى بن مريم أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وإبراهيم ثمانية أحرف ونوح خمسة عشر حرفاً، وآدم خمسة وعشرين حرفاً، وقد جمع كل ذلك لمحمد صلى الله عليه وآله» الوافي، الفيض الكاشاني: ج٣، ص٥٦٥.

الرابع: ورد عند الخاصة والعامة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل» أو «أفضل من أنبياء بني إسرائيل» ونحو ذلك، فإذا كان علماء المسلمين الّذين أخذوا علمهم من منبع النبوّة ومدرسة الرسالة والقرآن الحكيم كأنبياء بني إسرائيل أو أفضل، فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام الذي نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وكيف بمَن نصَّ القرآن على عصمتهم ونوهّ النبي صلى الله عليه وآله بفضلهم وورثوا العلوم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستغنوا عن الناس في المعارف والعلوم واحتجاج الناس إلى علومهم ومعارفهم فهم أعظم منزلة بلا شك؟!

الخامس: في صفة منبر الوسيلة من النبي صلى الله عليه وآله إنّه منبر يؤتى به يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش، فيرقى النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ يرقى من بعده أمير المؤمنين عليه السلام فيجلس في مرقاة دونه، ثمّ الحسن عليه السلام في مرقاة دونه إلى أخرهم، ثم يؤتى بإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء فيجلس كل واحد على مرقاته من دون المراقي ...) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٤. ففي هذه الرواية تقديم الأئمة عليهم السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:
(إنّ صِلَةَ الْأَرْحامِ لَمِنْ مُوجِباتِ الْإِسْلامِ وَإِنّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالى أَمَرَ بِإِكْرامِها وَإِنَّهُ تَعالى يَصِلُ مَنْ وَصَلَها وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَها وَيُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَها).

الإمام المهدي عليه السلام تصحيح لحركيَّة الإنسانيَّة

الشيخ مجيد الصائغ

شاءت حكمة الله تعالى في أنْ يتكامل الفكر البشري في حركية متواصلة وتقدّم مستمر عبر القرون، وبمشاركة ذهنية الأجيال المتعاقبة على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وانتماءاتهم وتعدّد رؤاهم المعرفية...

وهكذا كان فتلاحمت صفوف المعرفة وتكثّرت الإنجازات العلمية حتّى قُعِّدت فأُسِّست القواعد، واكتشفت القوانين ووضعت النظريات في جميع مجالات العلوم الإنسانية والمعرفة والأدب والفنون... وعلى الرغم من التطور الفكري والتقدّم العلمي المطّرد فمن المؤكد تحقّق أمرين رئيسين:

الأول: إنّ ما اكتشفه الإنسان بفكرة ونتاج علمه في جميع صنوف المعرفة ومجالات الحياة لا يلبّي جميع متطلّبات الإنسان فرداً ومجتمعاً وفي جميع المجالات، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: آية٨٥)، والدليل على حاجة الفرد والمجتمع إلى المزيد من العلوم والمعارف في كل زمان ومكان.

الثاني: إنّ البشرية لن تنعم بالمعطيات العلمية إلا قليلا؛ لأنّ الإنسان ينقاد إلى شهواته وغرائزه وميوله ورغباته، فمثلاً المعطيات العلمية تحظر على الإنسان التجاوز على الطبيعة وعلى البيئة، وتحظر عليه القيام ببعض الأعمال كالعمليات التي تلوّث الجو وتطلق الإشعاعات الخطيرة والغازات السامة، ولكن الإنسان اليوم يصرُّ على ممارساته رغم علمه بالنهي العلمي عنها، وذلك نتيجة لعدم إيمانه وعدم شعوره بالمسؤولية.

أمّا في دولة الإمام المهدي عليه السلام فإنّه سوف يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم بآليات منها:

أولاً: يكمل لهم جميع النواقص في علومهم ومعارفهم وفنونهم وآدابهم في جميع المجالات.

فإنّ ما توصَّل إليه الإنسان في هذا القرن الذي نعيشه، ويعتبره علماً، هو ناقص في نظر الإمام عليه السلام بلحاظ ما هو مخزون لديه عليه السلام، وعندما يخرج يكمل ما توصّل إليه البشر، ويأتي بعلم جديد لم تصل إليه البشرية في عقولها المحدودة.

إنّ ما يأتي به الإمام عليه السلام لا يمكن أنْ يبلغه الفكر الإنساني المادي، وإنَّه عليه السلام يرتقي بالعالم إلى أوج العلم والمعرفة والتقدّم التكنولوجي المعاصر، والدليل على ذلك ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضمّ إليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا» (البحار: ج٥٢، ص٣٣٦)، وهناك رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم» (كمال الدين: ص٦٧٥). وهذا يعني في الاصطلاح المعاصر حركة تغيير ثقافي وعلمي، ترتقي بالعقول والقلوب إلى مدارج المعرفة والتقدّم.

والذي يستفاد من خلال هذه الأدلة أنّ حركة الإمام عليه السلام التغيرية سوف تصل في تطوّرها إلى أوجها، والإمام عليه السلام بدوره الرائد والقيادي يمثّل الرسالة الإلهية الخاتمة.

ولا توجد رسالة بعد الإسلام إلّا ما يدّعيه ويبشّر به الغرب باسم الديمقراطية والتقدّم المدني الغربي، فالغرب اليوم يبشّر بنظريات شمولية كبرى ومطلقة ويقول: أنا أُمثل الأمّة الشاهدة على العالم وليس أنتم، وأنا أُمثّل الأمّة

القيّمة على العالم. ودعاة الديمقراطية الغربية يقولون: نحن نمثّل الحضارة الخاتمة والرسالة الخاتمة وليس الإسلام، وهذه العقيدة على خلاف الرواية الإسلامية تماماً، فإنّ الأمّة الإسلامية هي الأمّة الشاهدة على العالم، والحضارة الإسلامية هي نهاية الحضارات، وليست رسالة رؤساء الغرب، وهي الحركة المصحّحة للحركية الإنسانية في العالم، وهي الحركة التي يقودها الإمام المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام الذي يكمل مسيرة الرسالة الإلهية ويختمها على العالم عموماً، وعلى يد شيعة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً.

على كل حال، الصلاحُ العالمي والمجتمع السعيد الذي سيكون في آخر الزمان، هي فكرة موجودة في الأديان الوضعية والإلهية مع نقاط اختلاف كثيرة منها: إنّ الأديان الوضعية تعتمد في هذا التحليل على اجتهادات شخصية دون دليل علمي، بينما الأديان الإلهية تنطلق في ذلك من قرار إلهي، أي: إنّ هذه المسيرة البشرية بقرار من الله تعالى ستنتهي إلى مجتمع سعيد: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(سورة النور: آية٥٥). هذا القرار الإلهي موجود، بأنّ الحكم سيكون للمستضعفين في الأرض وقد أنبأت به الكتب الإلهية، ولو بقي التقدّم العلمي بدون إخبار إلهي غيبي فإنّه يملك دليلاً يتوصّل به إلى هذه النتيجة، فنحن نرى اليوم أنّه كلما زاد التقدم العلمي زادت المأساة والبؤس بسبب عدم الاستخدام الصحيح لهذا التقدّم العلمي.

ثانياً: يهذّب نفوسهم ويطهّرهم ويزكّيهم من الأدران والموبقات والأرجاس والأنجاس حتّى تصفو نفوسهم وتطهر قلوبهم وتسمو أرواحهم، فيمتثلون أوامره ويطبّقون تعاليمه ويلتزمون بوصاياه، فلا يحصل منهم تجاوز ولا تعدٍّ، وبذلك تحقّق سعادتهم.

ولا شكّ أنّ في ذلك تصحيح من الإمام المهدي عليه السلام لحركية الفكر البشري برفع الأغلاط ودفع الشبهات وسدّ النواقص... وتصحيح لحركية النفس الإنسانية في تقلباتها ومسيرتها الحياتية وذلك بتطهيرها وتسديدها.

ولا شكّ أنّ ذلك أفضل وأتمّ ما يمكن أنْ يصل إليه الإنسان بحركيته الفكرية وأرقى ما يمكن أنْ يحقّقه من معارف وعلوم وفنون وآداب.

ومن المعلوم أنّ تطهير النفس لغة: تنزيهها عن الأدناس والنقائص الرذائل وكل ما يشين ويعيب.

وفي الاصطلاح: تهذيب النفس تربيتها، وذلك بتنزيهها عن الأدناس والأرجاس، وتخليصها من أدرانها وانتشالها من أوحال الشهوات وعتقها من أغلال الهوى، وإبعادها عن سبل الشيطان ووضعها على الصراط المستقيم الذي بيَّنه الله تعالى لها، وتمسكها بحبله المتين، والحذر كل الحذر من وسوسته وتسويلاته وإغوائه وعدم الوقوع في حبائله ومجانبة وخدعه وغروره.

ولا بدَّ من ترويض النفس على رضا الله والالتزام بطاعة الله وصولاً إلى الكمال الإنساني المنشود والنعيم والمقيم؛ لأنَّ الثبات على المبدأ والعقيدة يشكّلان الهيكل الإيماني الصحيح للوصول إلى ساحة القرب من الباري، والتمتّع في ثناء لطفه ورحمته هو مسلك الأنبياء والأولياء والصالحين.

وإذا خرج عليه السلام فهو يؤكّد على هذه التربية وينمّيها، ويصقل النفوس التي تحتاج إلى المعالجة لتكون النفوس الإنسانية في ظهوره المبارك نفوساً لا سقم فيها، ويكون الإنسان بعيداً عن أنانيته وغروره في مستوى تفكيره وعلاقاته بالآخرين، بل يكون صاحب رسالة هدفها الوصول والخروج إلى سماء الفضيلة والكمال الإنساني المنشود.

مناسبات شهر رجب الأصب

عقد الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام عقدة النكاح:

في الخامس من شهر رجب لخمسة أشهر من الهجرة عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام على ابنته فاطمة الزهراء البتول (صلوات الله عليها) عقدة النكاح، وكان فيه الأشهاد له ولها الأملاك، وسنها يومئذ إحدى عشر سنة، وفي رواية ثلاث عشر سنة. وروي أنّ زفاف فاطمة عليها السلام في اليوم الأول من ذي الحجة.

معجزة انشقاق جدار الكعبة لفاطمة بنت أسد وولادتها علياً عليه السلام:

عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذا أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت:

ربّ إني مؤمنة لك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت قد انفرج عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من الله(عزّ وجلّ)، ثمّ خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قالت: إنّي فضلت على مَن تقدمني من النساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله(عزّ وجلّ) سرّاً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلّا اضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميه علياً، فهو عليّ والله العلي الأعلى...

ولما ولد عليه السلام سجد على الأرض، يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأشهد أنّ علياً وصي محمد رسول الله، بمحمد يختم الله النبوّة وبي تتم الوصية، وأنا أمير المؤمنين...وأشرقت السماء بضيائه، فخرج أبو طالب، يقول: ابشروا فقد ظهر ولي الله يختم به الوصيين وهو

وصي نبي ربّ العالمين. فخرجت فاطمة بنت أسد عليها السلام من الكعبة حاملة وليدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد أن بقيت في الكعبة ثلاثة أيام.

مسير سفينة نوح عليه السلام:

في العاشر من شهر رجب سارت سفينة نوح، فسارت ستة أشهر حتى طافت بالأرض كلها، لا تستقر في موضع حتى أتت الحرم، فطافت بموضع الكعبة أسبوعاً، وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء، ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي، وهو فرات الكوفة كما هو المروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «...ثمّ استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة، فقيل له: إنّ مسجد الكوفة لقديم؟ فقال: نعم، هو مصلّى الأنبياء...» (الكافي: ج٨، ص٢٨١). وقيل: هو جبل بأرض الموصل. (تاريخ اليعقوبي: ج١، ص١٥). فاستقرت عليه في اليوم العاشر من المحرم.

قول النبي صلى الله عليه وآله أنّه أفضل الخلق، وأنّ أهل بيته عليهم السلام خير البيوت:

وفي الثالث عشر من شهر رجب جمع رسول الله صلى الله عليه وآله الناس، فقال لهم: إنّي جمعتكم لأن أخبركم أن الله خلق الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسما، فذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين...فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم عند الله، ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب.

طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة (٤١هـ)، طُعن الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام في ساباط المدائن بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجرّاح بن سنان، وأخذ بلجام بغلته وبيده مغول، فطعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم، ثمّ اعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعاً إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام يقال له عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه، فأكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك، وأخذ آخر كان معه فقُتل، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي (عمّ المختار) ـ وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقرّه الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام بنفسه يعالج جرحه.

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنين السابقة لشهر رجب فمَن أراد الاطلّاع فليراجع.

رضوان الله عليه

الفضل ابن عباس

اسمه وكنيته ونسبه:

أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، الفضل بن عباس بن عبد المطّلب.

ولادته:

لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلّا أنّه كان من أعلام القرن الأوّل الهجري، ومن المحتمل أنّه ولد في مكّة المكرّمة باعتباره مكّي.

جوانب من حياته:

* غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة وحُنيناً، وثبت يومئذٍ معه حين ولّى الناس منهزمين، وشهد حجّة الوداع.

* روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله عدّة روايات.

* لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى

المسجد في مرض وفاته اعتمد عليه وعلى أمير المؤمنين عليه السلام. الإرشاد ـ الشيخ المفيد: ج١ ص١٨٢.

* أمره الإمام علي عليه السلام أن يناوله الماء في غسل رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن عصّب عينيه إشفاقاً عليه من العمى. إعلام الورى ـ الشيخ الطبرسي: ج١، ص٢٦٩.

ولاؤه للإمام علي عليه السلام:

كان رضي الله عنه من المخلصين في ولائهم للإمام علي عليه السلام، ومن المدافعين عن حقّه في الخلافة.

روى محمّد بن إسحاق: إنّ أبا بكر لمّا بُويع افتخرت تيم بن مرّة، قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الفضل بن العباس: (يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم، إنّكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوّة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه). شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١، ص٢١.

رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على مركبه:

روى الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام قال: «قال الفضل بن العباس: أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بغلة، أهداها له كسرى أو قيصر، فركبها النبي صلى الله عليه وآله بجل من شعر وأردفني خلفه، ثمّ قال لي: يا غلام، احفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله (عزّ وجل) في الرخاء يعرفك في الشدّة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله (عزّ وجلّ)، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بأمرهم لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً». مَن لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج٣، ص٤١٢.

شعره:

كان رضي الله عنه شاعراً مُجيداً، شهد له بذلك الإمام علي عليه السلام؛ إذ قال له: «أنت شاعر قريش وفتاها»، كما قال له: «أنت أشعر قريش». وقعة صفّين، ابن مزاحم المنقري: ص٤١٧.

وفاته:

لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ وفاته ومكانها، إلّا أنّ السيّد علي خان المدني ذكر اختلاف المؤرّخين في تاريخ وفاته. اُنظر: الدرجات الرفيعة: ص١٤٣.

الاسْتِبْدَادَ

الحلقة الثالثة

ما زال الكلام حول الاستبداد، وقد أشرنا إلى آثار الاستبداد الديني... وقلنا: إنّ للاستبداد آثاراً مدمرة على الأوضاع الاجتماعية وتماسك المجتمعات ومستوى تقدمها، والنظم الاستبدادية في الغالب تحارب العلم والعلماء...

والقول إنّ الاستبداد عدو العلم ليس ادّعاءً وإنّما توجد شواهد كثيرة على ذلك، والناظر المدقق في تاريخ الإسلام، يجد للمستبدين، من الخلفاء والملوك الأولين، أفعالاً مريعة في إطفاء نور العلم ومحاربة العلماء والمفكرين وفي الوقت الحاضر لا يخفى على أحد حقيقة ما فعلته الأنظمة المستبدة في العلم وأهله، إذ يلاحظ بهذا الشأن أن نسبة الأمية في المجتمعات التي تحكمها أنظمة مستبدة، أكثر من نسبة الأمية في المجتمعات التي تحكمها حكومات غير مستبدة كما أن هجرة العقول من الدول غير الديمقراطية إلى الدول الديمقراطية شاهد آخر على مثل هذه الحقيقة.

والخلاصة: إنّ الاستبداد والعلم ضدان متغالبان، فكل إرادة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم وحصر الرعية في حالك الجهل، والغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم وينكّلون بهم، فالسعيد منهم مَن يتمكن من مهاجرة دياره، وهذا كما

يقول الكواكبي: (سبب أنّ كل الأنبياء العظماء عليهم الصلاة والسلام وأكثر العلماء الأعلام، والأدباء النبلاء عاشوا حياتهم غرباء خارج بلدانهم).

الاستبداد والطبقية

يؤثر الاستبداد سلباً في البناء الطبقي للمجتمعات حيث يقرر بناءً طبقياً هجيناً يتكون من ثلاث طوائف لكل طائفة (أو طبقة) مميزاتها الخاصة، فالأولى تتمتع بالكثير من الامتيازات بسبب امتناعها عن قول مالا يجب أن يسمعه المستبد، وهي (طائفة المتملقين)، وطائفة أخرى مضطهدة؛ لأنّها لا تعرف السكوت عما يجب قوله، وبين الطائفتين طائفة ثالثة تكتفي بالصمت والرجاء أملاً بتغيّر الأحوال، وفي عصر الاستبداد ينشأ الفرد ضعيفاً مهزوز الشخصية يميل إلى الخنوع والذل والتوجس والريبة بمن حوله، ويداهن ويرائي ويظهر مالا يبطن خوفاً من بطش المستبدين، ويصعد أراذل الناس؛ لأنهم وحدهم المستعدين لإهدار كل قيمة وكرامة من أجل إرضاء رغبة الحاكم المستبد وتنفيذ أوامره، في ظلم الرعية والتنكيل بهم، ويستبعد أصحاب الخلق الرفيع من الصدارة؛ لأنّ لا مكان لهم ولا قدر ولا وظيفة في منظومة الاستبداد، وإذا كان الاستبداد بمعناه الاجتماعي هو اعتقاد طائفة أو جماعة أو فئة أو قبيلة بأنَّ لها الحق في أن تعلوا وتسود دون غيرها فإنّ هذا يُفضي إلى إحياء النعرات العصبية والطائفية والمذهبية بين أبناء المجتمع الواحد مما يشكل تهديداً للوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي؛ لأنّ من غير المعقول أن تقبل بقيّة الطوائف أو الجماعات بالتهميش والعيش في إطار نظام لا يجسد الوطنية ولا يعترف بالمواطنة المتساوية.

الآثار الاقتصادية

وبالمثل للاستبداد آثار مدمرة على موارد الدولة واقتصاداتها الوطنية، فالاستبداد في أحد معانيه هو احتكار المال والثروة في يد فرد أو جماعة أو سلطة دون وجه حق وحرمان الآخرين منها، وعادةً ما يلجأ الحاكم المستبد لتوطيد سلطته إلى السيطرة على مصادر القوة الثلاثة الرئيسية، الجيش، كأداة قتل وقمع، والإعلام كأداة للتضليل والدعاية والتعظيم للحاكم ومنجزاته، والمال الذي يُحرم منه هذا أو يُعطى منه ذاك، وفي كل ذلك فإنّ المال يظلّ رأس الأمر كله فبه يجند الجنود وتجهز الجيوش وبه أيضاً تُشترى وسائل الإعلام والاعلاميون، وبشكل موجز فإن أثر الاستبداد على الأوضاع الاقتصادية تبرز في عدّة نقاط منها :ـ يؤدي الاستبداد بسبب سيطرة قلّه على المال والثروة إلى تمحور دورة المال في نطاق ضيق ومحدد، وحصر عدد المستفيدين إلى أعداد محدودة جداً، وينتج عن ذلك انتشار الفقر وتوسع مساحته وتدني المستوى المعيشي للمواطنين وانخفاض دخلهم المالي. وللكلامة تتمة.

ما زال الكلام في قصة نوح عليه السلام وقد وجّهت ثلاث إشكالات كما ذكرنا ذلك في الحلقة السابقة، في هذه الحلقة نحاول أن نبيّن جواب نبي الله نوح عليه السلام.

جواب النبي نوح عليه السلام

القرآن الكريم يبيّن ردّ النبي نوح عليه السلام وإجاباته المنطقية على هؤلاء إذ يقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ...﴾. هود: آية٢٨.

التدبر في الآية يتضح أنّ هذا الجواب يمكن أن يكون جواباً للإشكالات الثلاثة بأسرها؛ لأنّ أول إشكال أوردوه على نوح هو: كنت إنساناً مثلنا ولم تكن ملكاً، فكان جوابه لهم: صحيح إنّني بشر مثلكم، ولكن الله آتاني رحمة وبينة ودليلاً واضحاً من عنده، فلا تمنع بشريتي هذه من أداء هذه الرسالة العظيمة، ولا ضرورة لأن أكون ملكاً.

والإشكال الثاني هو: إنّ أتباع نوح مخدوعون بالظواهر، فيردهم بالقول: إنّكم أحقّ بهذا الاتّهام؛ لأنكم أنكرتم هذه الحقيقة المشرقة، وعندي أدلة كافية ومقنعة لكل مَن يطلب الحقيقة، إلّا أنّها خفيت عليكم لغروركم وتكبركم وأنانيتكم.

والإشكال الثالث: إنّهم قالوا: ﴿...وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ...﴾. هود: آية ٢٧. فكان جواب نوح عليه السلام: أيّ فضل أعظم من أن يشملني الله برحمته، وأن يجعل الدلائل الواضحة بين يدي، فعلى هذا لا دليل لكم على إتهامي بالكذب، فدلائل الصدق عندي واضحة وجلية.

وفي الختام يقول النبي نوح عليه السلام لهم: هل أستطيع أن ألزمكم الاستجابة لدعوتي وأنتم غير مستعدين لها وكارهون لها ﴿... أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾. هود: آية ٢٨.

ما أنا بطارد الذين آمنوا:

﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الله...﴾.

وهذا يوضح بصورة جيدة وبجلاء إنّني لا أبتغي هدفاً مادياً من منهجي هذا، ولا أفكر بغير الأجر المعنوي من الله سبحانه، ولا يستطيع مدعٍ كاذبٍ أن يتحمّل الآلام والمخاطر دون أن يفكر بالربح والنفع.

وهذا معيار وميزان لمعرفة القادة الصادقين من غيرهم الذين يتحينون الفرص ويهدفون إلى تأمين المنافع المادية في كل خطوة يخطونها سواء كان بشكل مباشر أم غير مباشر.

ويعقب نوح عليه السلام بعد ذلك في ردّه على مقولة طرد المؤمنين من الفقراء والشباب فيقول بصورة قاطعة: ﴿وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾؛ لأنّهم سيلاقون ربهم ويخاصمونني في الدار الآخرة ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ﴾.

ثمّ يختم كلامه لقومه بأنّكم جاهلون ﴿وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾. هود: آية ٢٩.

وأيّ جهل وعدم معرفة أعظم من أن تضيعوا مقياس الفضيلة وتبحثون عنها في الثروة والمال الكثير والجاه والمقام الظاهري، وتزعمون أنّ هؤلاء المؤمنين العفاة الحفاة بعيدون عن الله وساحة قدسه .!

هذا خطؤكم الكبير وعدم معرفتكم ودليل جهلكم.

ثمّ أنتم تتصورون - بجهلكم- أن يكون النبي من الملائكة، في حين ينبغي أن يكون قائد الناس من جنسهم ليحسّ بحاجاتهم ويعرف مشاكلهم وآلامهم.

ثمّ يقول لهم موضحاً: إنّني لو طردت مَن حولي فمَن ينصرني من عدل الله يوم القيامة وحتى في هذه الدنيا: ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ الله إِن طَرَدتُّهُمْ...﴾، فطرد المؤمنين الصالحين ليس بالأمر الهيّن؛ إذ سيكونون خصومي يوم القيامة بطردي لهم، ولا أحد هناك يستطيع أن يدافع عنّي ويخلّصني من عدل الله، ولربما أصابتني عقوبة الله في هذه الدنيا، أم أنّكم لا تفكّرون في أنّ ما أقوله هو الحقيقة عينها: ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾. هود: آية٣٠. وللكلام تتمة في الحلقة القابلة.

كل هذا حتماً سيمرّ

يُحكى أنّ في يوم من الأيام جمع الملك كل حكماء مملكته، وطلب منهم أن يقوموا بكتابة عبارة واحدة فوق عرشه، ينظر إليها من وقت إلى آخر حياته، يستفيد منها في حياته وحكمه لمملكته وشعبه، وقال الملك للحكماء: ولكنّني أُريد أن تكون هذه الحكمة بليغة وقوية تلهمني الصواب، وتساعدني في وقت المحن والشدائد، وتُعينني على إدارة الأزمات والحكم بالعدل بين الناس، وفي الوقت نفسه تُعطيني دفعة من السعادة والتفاؤل والأمل.

احتار الحكماء في أمرهم، وأخذوا يفكّرون في هذه العبارة التي يمكن أن تحمل كل هذه المعاني، فكيف يمكن أن تكون هناك عبارة واحدة ملائمة لكل الظروف والشدائد والأحوال، وفي الوقت نفسه تعبّر عن السعادة والفرح والتفاؤل.. بعد مدّة عاد الحكماء وقد كتبوا الكثير من العبارات التي تحتوي على المواعظ والحكم الجميلة، ولكنها لم تَرُق للملك ولم تعجبه.

في هذه اللحظة تقدّم أحد الحكماء إلى الملك، ورفع لافته مكتوب عليها عبارة واحدة تقول: (كل هذا حتماً سيمرّ) نظر الملك باهتمام إلى اللوحة، فقال الحكيم: إنّ حال الدنيا لا يبقى كما هو أبداً يا سيدي، ومَن ظنّ بأنه في مأمن من القَدَر فقد خاب وخسر فالزمن متقلّب، وبالتأكيد أيام السعادة آتية ولكنّها حتماً ستمر، وكذلك أيام الشدّة والحزن ستمر وتنتهي.. سوف تأتي أيام تدق الانتصارات باب مملكتك يا سيدي وسيهتف الجميع باسمك، ولكن هذه اللحظات الجميلة أيضاً ستمر، وستري بعينيك أيام صعبة تتذوق فيها مرارة الهزيمة، وينقلب عليك الجميع ولكن هذا أيضاً سينتهي ويمر.

حينها تبسّم الملك راضياً، وأمر بأن تُنسخ هذه الحكمة البليغة فوق عرشه وفي كل ميادين المملكة.

الحكمة هي:

كل ما علينا أن نتذكر دائماً أنّ دوام الحال من المحال، فيجب علينا ألّا نجزع عند الألم والمصيبة، لأنّها ستمر وتنتهي، ولا يجب أيضاً أن نأمن غدر الدنيا، ومهما أعطتنا الحياة من سعادات ونجاحات فلنتذكر حينها أنّها أيام وستمر أيضاً.

قال الإمام الرضا عليه السلام

زيارة قبر أخي مثل زيارة قبر الحسين عليه السلام

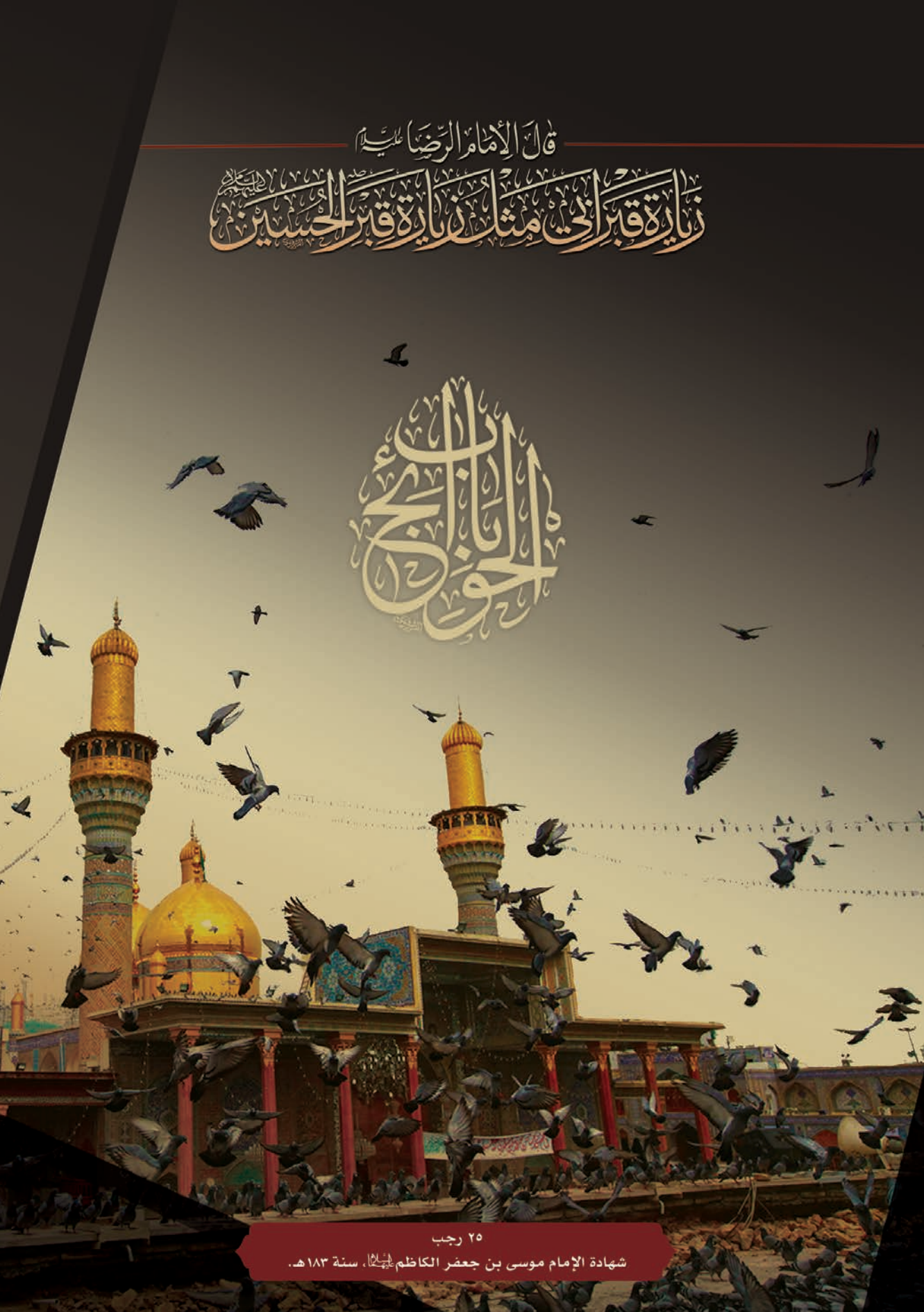

٢٥ رجب

شهادة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، سنة ١٨٣هـ.

نبي الرحمة
٢٧رجب الأصب
بعثة النبي الأكرم ﷺ، سنة (١٣) قبل الهجرة